ولست بمبال الى جانب الغنا اذا كانت العليا في جانب الفقر
قلت ومن حكايات الفقرا ما حكي لنا ورويناه عن محمد بن علي الكتاني رحمه
الله قال كان عندنا بمكة فتى عليه اطمار رثة وكان لا يداخلنا ولا يجالسنا فوقعت محبته
في قلبي ففتح لي بمائتي درهم من وجه حلال فحملتها اليه ووضعتها على طرف سجادته وقلت
له فتح لي ذلك من وجه حلال تصرفه في بعض امورك فنظر الي شزرا ثم قال اشتريت هذه الجلسة
مع الله على الفراغ بسبعين الف دينار غير الضياع والمستغلات تريد ان تخدعني عنها بهذه
وقام وبددها فقعدت التقط فما رايت كعزه حين مر ولا كذلي حين كنت التقطها
وحكي عن بعضهم انه قال كنا بعسقلان وشاب يعاشرنا ويتحدث معنا فاذا فرغنا
قام الى الصلاة يصلي فودعني يوما وقال اريد الاسكندرية فخرجت معه وناولته
دريهمات فابا ان ياخذ فالححت عليه فالقى كفا من الرمل في زكوته واستقى من ماء البحر
عليه وقال كله فنظرت فاذا هو سويق بسكر فقال من كان حاله معه مثل هذا
يحتاج الى دراهمك ثم انشا يقول

بحق الهوى يا اهل ودي تفهموا لسان وجود بالوجود غريب
حرام على قلب تعرض للهوى يكون لغير الحق فيه نصيب

وحكي عن بعض العلما انه اغلق على نفسه باب بيته يوم عيد فدق عليه الباب
جار له موسر فابا ان يفتح له فتسور الجدار ودخل عليه البيت فوجد عنده قرصا
باردا لم يسل له ادم فدفع اليه خمسة الاف فابا ان يقبلها فقال له لم تفعل هذا فقال حتى
ادخل الجنة قبلك بخمس مائة عام فخرج ولم يقبل منه شيا وحكي عن بعضهم انه قال
رايت كان القيمة قامت وقيل ادخلوا مالك بن دينار ومحمد بن واسع الجنة فنظرت ايهما يتقدم
فتقدم محمد بن واسع فسالت عن سبب تقدمه فقيل انه كان له قميص ولمالك قميصان
وانشد بعضهم

وما الفقر الا ان يكون مجردا امورا على الاموال يحسب الردي
سخيا نفادا املاح وعفة فان صح ما قلنا فهذا هو المهذب

قلت وفي شرف الفقر واهله قد قلت فيما تقدم وساقول فيما بعد ان شا الله واقول الان

ادى السرف العالي من الفقر يوضع وجيفة دنيا فوقه اليوم ترفع هي الفخر

على منزلة في بعض الاوقات تحت قصر لبعض اهل الولايات ويجد من اللذة والحلاوة
ما لا يطيقه العبارات وذلك لنظره الى الدنيا بعين الاحتقار والى تقلبها بعين
الاعتبار والى منة الله عليه باخراجه من قلبه ما عليه بنوا الدنيا من الاغترار
كلما نظر ما هم عليه من نعيم الدنيا وزينتها وقصورها ومراكبها وجاهها
وغرورها ولهوها ولعبها وغنائها وطربها يمتلي قلبه بما هو فيه لذة وسرورا
ويستقل عقولهم ويرى ذلك فتنة وغرورا ويعلم ان جميع ذلك عن قريب يزول
ويعظم فيه تعب الحساب ويطول وكانك بالمسكين وقد خلا من السكان بالمسكن
وكان ما كانوا فيه من العز والنعيم ما كان ويتشهد المعتبر لهم ويقول

ركوبا النعش اسناهم ركوبا على الخيل العتاق النجاب
وليل القبر انساهم الليالي به عرس المليحات النخاب
وانساهم لفرش ناعمات لهامد زينوا فرش التراب
علا الدود الخدود وغاص فيها اكولا للبهيات التراب

واما القسم الثاني وهو عيش المتنعمين بالدنيا ذوي الاغترار فمعلوم
ما فيه من شوب الاكدار لا يكاد يحصل به لصاحبه هنا مع حقارته
وسرعة مصيره الى الفنا وما يترتب عليه من طول الحساب وشدة العنا
ومقاسات اهوال تذهل العقول وها انا في العيشين المذكورين اقول

يا سائلي عن طيب عيشين ذقت في زماني ربيع والعمائم فطول
نعيما بفقر هانيا ونعيما بدنيا عن الحال الهني يحول
فشتان ما بين النعيمين في الهنا وفيما اليه الكل تغدو يؤول
فهذا لسبق للجنان ماله وهذا لذو في للحساب يطول
فما مرد الفقر اذا كان سابقا الى كل خير ليس قط يزول
بخمس ما بين من سنين منعم وذو المال كم هول لديه يهول
واني وان امسيت في السبق مشكلا فاني بمدح السابقين اقول
اذلك محل السبق اضحت شيوخنا بيوم رهان والعتاق تجول
كما شرف الخز الشيوخ لتابع تخر شيوخ القوم فيه شمول

Copyright © King Saud University